خطبة صلاة الجمعة 3/ 6/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(لا إله إلا الله الكلمة الطيبة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

عنوان خطبة اليوم: **لا إله إلا الله الكلمة الطيبة.**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27].

اتفق المفَسِّرُونَ على أَن الكَلِمَة الطّيبَة في الآية: لا إله إلا الله، وعلى أن الكلمة الخبيثة كلمة الشرك.

ويحتمل اللفظ العموم فالكلمة الطيبة كل ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، وأصل ذلك لا إله إلا الله، والكلمة الخبيثة كل ما كان على خلاف ذلك، وأصل ذلك لفظة الشرك.

ضرب الله مثلاً مشبّهاً المعقول بالمحسوس؛ وذلك أن لا إله إلا الله وهي الكلمة الطيبة مثَلها في قلب المؤمن كشجرة طيبة قال المفسرون هي النخلة.

والنخلة شجرة مباركة، وبركتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطْلع إلى أن تيبَس تؤكل أنواعاً، بلحاً ورُطباً وتمراً وبُسراً وعجواً، ثمّ بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها

حتى النَّوى يستعمل في علف الدواب والليف في الحبال، ثمّ هي شجرة يستظل بظلها ويستمتع بالنظر إليها.

فلا إله إلا الله في قلب المؤمن وارفة الظلال تنفعه وتنفع به، وبركتها مستمرة معه في جميع أحواله.

والنخلة هي الوحيدة من بين الأشجار التي لا يتساقط ورقها، وتتحمل الظروف المناخية القاسية وعمرها مديد، والنخلة فهي جميلة المنظر، شديدة الثبات في الأرض باسقة الفروع في السماء.

فلا إله إلا الله في قلب المؤمن جميلة الأثر كثيرة الثمر، ولا إله إلا الله في قلب المؤمن شديدة الثبات والرسوخ.

كان المشركون يجهدون ويجاهدون أن يترك بلال لا إله إلا الله، لكنه يفاجئهم بقولة: أَحد أَحد! (أصلها ثابت!).

وكان مسيلمة الكذاب يجهد ويجاهد أن يخرج حبيب بن زيد عن محمد رسول الله ليقول مسيلمة رسول الله، فيقول له حبيب: إن في أذني صمماً عما تقول، وقطعه عضواً وعضواً وما نزل عن لا إله إلا الله! (أصلها ثابت!).

وكانت محاكم التفتيش تتفنن في تعذيب المسلمين ليخرجوا عن لا إله إلا الله فلا يخرج عنها المسلم ولو نشروه بالمناشير! (أصلها ثابت!).

وأحرق أصحاب الأخدود المسلمين ليرجعوا عن لا إله إلا الله ولكنهم رضوا بنار الدنيا عن نار الآخرة ولم يخرجوا عن لا إله إلا الله. (أصلها ثابت!).

عندما يتحقق المؤمن بـ لا إله إلا الله بالكلمة الطيبة تستحوذ على وجوده ووجدانه وحياته وكيانه، وتحل منه محل الروح من الجسد فلا ينزل عنها حتى يلج الجمل في سم الخياط.

لكن إن لم تستقر لا إله إلا الله في قلب المرء بل بقيت لقلقة باللسان وتمتمة بالشفاه فإنه ينزل عنها أمام أول مخوِّفٍ أو مُغْرٍ، فإذا عرضت له شهوة تبعها وترك أمر الله ونهيه، وإذا واجهه مخوف ترك لا إله إلا الله وانصرف حيث أراد المخوف.

لكن الكلمة الطيبة أصلها ثابت في القلب المؤمن المتحقق بالإيمان.

والذي يجعل لا إله إلا الله ثابتة قلبك الإكثارُ من ذكر الله واللحاق بمجالس العلم ومحبةُ الصالحين.

وقعت خصومة مالية بين تاجرين فاحتكما إلى الشريعة إلى ما تقتضيه لا إله إلا الله، ولما وقع الحكم على أحدهما نزل على الحكم ولم يتأخر عنه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65] فكان أن عوضه الله بعد حين بعشرة أضعاف ما بذل عند نزوله على حكم الله. (أصلها ثابت!).

طلق شاب زوجته المعقود عليها ولما طالبته بحقوقها المالية أبى أن يدفع شيئاً وقال إن العقد عقد شيخ ولم يثبت في المحكمة ولن أعطيها شيئاً، ولما كلّم العلماءُ والديه للمساعدة في تطبيق أمر الله بإعطاء الفتاة حقها رفض الوالدان ورضيا ما فعل ولدهما ولو خالف أمر الله.!

لو كانت لا إله إلا الله ثابتةَ الأصل في قلوب هؤلاء الثلاثة لما خالفوا تعاليم الله.

الكلمة الطيبة لا إله إلا الله (أصلها ثابت) (وفرعها في السماء) فإن ما يتفرع عن لا إله إلا الله يطير بفاعله إلى العلا ويرفعه إلى السماء.

فـ لا إله إلا الله يتفرع عنها بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجوار ورحمة الخلق ورعاية الزوجة والأولاد (وفرعها في السماء).

لا إله إلا الله يتفرع عنها ترك الغيبة والنميمة وهجر الفحش والرذيلة ونبذ الفرقة والعصبية. (وفرعها في السماء).

لا إله إلا الله يتفرع عنها طهارة القلب ونظافة البدن وسلامة القصد وصفاء السريرة ونقاء السيرة. (وفرعها في السماء).

لا إله إلا الله يتفرع عنها رحمة الصغير واحترام الكبير وتوقير العالم وتعليم الجاهل ونصرة المظلوم. (وفرعها في السماء).

لا إله إلا الله يتفرع عنها خشوع في الصلاة وصبر في الصوم وسخاء في الزكاة وتعاون في الحج وصلابة في الجهاد. (وفرعها في السماء).

لا إله إلا الله يتفرع عنها طمأنينة القلب وسكينة الروح وهدوء النفس وسلامة الفطرة. (وفرعها في السماء).

وهكذا ففروع لا إله إلا الله تطير بالعبد في سماء المجد والرقي والرفعة إلى أعلى العلا كما تعلو فروع النخلة إلى أعلى العلا وتصعد كل هذه الخيرات أعمالاً صالحات تسجل في صحيفة المؤمن.

الكلمة الطيبة لا إله إلا الله أصلها ثابت وفرعها في السماء.

﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾ فكما أن النخلة يستفاد منها أنواعاً ويؤكل ثمرها ألواناً، بلحاً ورُطباً وتمراً وبُسراً وعجواً،، فكذلك المؤمن الذي رسخت لا إله إلا الله في قلبه يظهر منه الخير كل

حين بإذن ربه، وكما أن النخلة تتحمل الظروف الصعبة وتبقى مخضرة الأوراق فكذلك المؤمن يتحمل الشدائد ويبقى مورق الأفنان.

مع أنها غير متزوجة وكاد أن يفوتها قطار الزواج لكنها تساعد صاحباتها وقريباتها وقت زواجهن، تفرح لفرحهن وتسر لسرورهن ﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾.

مع أنه فقد ولده في حادث أليم لكنه وبعد يومين من وفاة ولده ذهب ليعزي قريبه بزوجته ململماً أحزانه يريد مواساة الآخرين ﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾.

مع أنه لا يستطيع المشي ولكنه جاء على كرسي محمول ليحضر عرس أحد تلامذته يدخل على قلبه السرور ﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾.

مع أنها عقيم لا تنجب لكنها تجتهد أن تعين كل ولود من صديقاتها عند ولادتها ترجو بذلك ثواب الله ﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾.

مع أنه جاوز الثمانين لكنه عندما علم بحادث شديد أصاب أحد طلابه جاء ليزوره في بيته، وكان بيت الطالب في الطابق الأخير ولا يوجد مصعد في البناء، وصعد الشيخ ثمانية وثمانين درجة ﴿ تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها ﴾.

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ، لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ**»، فَقَالَ القَوْمُ: هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

جاء في تفسير الخازن أن أحد معاني هذا التشبيه هو أن المؤمن كلما قال: لا إله إلا الله صعدت إلى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها.

أيها الإخوة:

عاقبة أصحاب الكلمة الطيبة: الفوز بمرادهم في الدارين، يثبتهم الله على (لا إله إلا الله) في الدنيا، وفي القبر وفي يوم القيامة.

قال أَنَسَ بنَ سِيرِينَ: شَهِدْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ، وَحَضَرَهُ المَوْتُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «لَقِّنُونِي لا إله إلا اللَّهُ، فَلَمْ يَزَل يَقُولُهَا حَتَّى قُبِضَ. رَحِمَهُ اللَّهُ».

وعَن مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه، لَمَّا ضُرِبَ أَوْصَى بَنِيهِ، ثُمَّ لَمْ يَنطِقْ إِلَّا بِـ «لا إله إلا اللَّهُ» حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ.

لما نزلت السكرات بأبي عِمْرَانَ الجَوْنِيَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ فَقَالَ لِابنِهِ: لَقِّن أَبَاكَ لا إله إلا اللَّهُ. فَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ لِابنِهِ: «مَا يَقُولُ؟» قَالَ: قَالَ لَقِّن أَبَاكَ. قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: "يَا أَيُّوبُ، إِنَّهَا أَمَامِي، لَا أَعْرِفُ غَيْرَهَا.

فأصحاب الكلمة الطيبة علماً وعملاً يثبتهم الله عليها في الدنيا والآخرة، ويسعدهم الله بها في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة:

لا إله إلا الله الكلمة الطيبة أصلها طيب ثابت وفروعها طيبة باسقة وخيرها طيب دائم.

روى النسائي وغيره عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبَ عَلَمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: لا إله إلا اللهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُل: لا إله إلا اللهُ، قَالَ: لا إله إلا أَنتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصَّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبعَ فِي كَفَّةٍ وَلا إله إلا اللهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إله إلا اللهُ».

فتعالوا – أيها الإخوة– نجتهدْ بتثبيت الكلمة الطيبة في قلوبنا بكثرة ذكر الله وكثرة الأعمال الطيبة التي أمر بها الله.

والحمد لله رب العالمين